سورة هود

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب :

ذكر ما في صدر سورة هود(١) من العلوم :

الأوّل : علم معرفة الله :

---

(١) قوله تعالى : (الر كتاب أُحكمتْ آياتُه ثم فصّلت من لدن حكيم خبير . ألاّ تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير . وأنْ استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه يمتّعْكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمّى ويؤتِ كل ذي فضلٍ فضله وإن تولّوْا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير . إلى اللهمرجعكم وهو على كل شيء قدير . ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخْفُوا منه ألا حين يَسْتغْشُون ثيابهم يعلم ما يُسرّون وما يعلنون إنه عليمٌ بذات الصدور . وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودَعها كلٌّ في كتاب مبين . وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماءليبلوَكم أيّكم أحسن عملا ولئن قلتَ إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين . ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أُمّة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . ولئن أذقنا الإنسان منّا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسّته ليقولن : ذهب السيئاتُ عنيّ ، إنه لفرحٌ فخور . إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) سورة يونس : الآيات ١ — ١١ .

ذِكْر أنه حكيـــم .

الثانية : أنه خبير .

الثالثة : أنه قـــدير .

الرابعة : أنه ذكر شيئاً من تفصيل العلم في قوله : (إلا إنهم يثنون صدورهم) الآية .

الخامسة : ذكر شيئاً من تفصيل القدرة في قوله : (وما من دابة) الآية .

السادسة : خلق السموات والأرض في ستة أيام .

السابعة : كون عرشه على الماء .

الثامنة : ذكر شيء من تفصيل الحكمة في قوله : (ليبلوكم أيكم أحسن عمـــلا) .

التاسعة : كونه وكيلا على كل شيء .

الثاني(١) الإيمان باليوم الآخر ، وذكر أنه إليه المرجع .

الثانية : (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) .

الثالثة : ذكر الجنة والنـــار .

الرابعة : ذكر العرض عليه .

الخامسة : كلام الأشهاد .

السادسة : ضل عنهم افتراؤهم .

السابعة : كونهم الأخسرون في الآخرة .

---

(١) يعني : العلم الثاني .

الثالث[1] : تقرير الرسالة .

ذكر أولا المسألة الكبرى .

الثانية : أنه نذير من الله وبشير لنا .

الثالثة : تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم : إنها (سحر مبين) مع موافقتها للعقل .

الرابعة : تقريرها بقولهم : (لولا أنزل عليه كنز)[2] .

الخامسة : تقريرها بمعرفة العلمـــاء بها .

السادسة : تقريرها بالتحدي .

السابعة : تقريرها بأنها الحق من الله .

الرابع : ذكر الوعد والوعيد .

وذكر المتاع الحسن لمن قبله .

الثانية : ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبي .

الثالثة : (يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) .

الرابعـــة : وعيد من أراد الدنيـــا .

الخامسة : ووعيد من افترى عليه .

السادسة : وعد المؤمنين المخبتين .

السابعة : وعيد من استهزأ بالقرآن .

الخامس : ذكر الأمر والنهي .

---

(١) يعني : العلم الثالث .

(٢) قوله تعالى (فلعلّك تاركٌ بعضَ ما يوحَى إليك وضائقٌ به صدرُك أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنْز أوجاء معه مَلَكٌ ، إنما أنت نذيرٌ والله على كل شيء وكيلٌ) الآية ١٢ .

فذكر النهي عن الشرك والأمر بالإخلاص .

الثانية : الأمر بالاستغفار والتوبة .

الثالثة : الأمر بالمضي على أمر الله ، وان اعترضوا بالشبهة الفاسدة .

الرابعة : أمره(١) بالتحدي .

الخامسة : نهيه عن الفرية فيه .

السادس : أمور مدحها لنفعها .

منها الصبر .

الثانية : عمل الصالحات .

الثالثة : مدح العلم الصادر عن اليقين .

الرابعـــة : مدح معرفة القرآن .

الخامسة : ذكر نتيجة الأمرين .

السادسة : الإيمان .

السابعة : الإخبات إلى الله .

السابع : أمور كرهها ذكرها لتترك .

منهـــا التولي .

الثانية : ثني الصدر .

الثالثة : الاعتراض على الحق الصريح بالجهل الصريح .

الرابعة : استبطاء وعيد الله .

---

(١) قوله تعالى (أم يقولون افتراه قل : فأتوا بعشرِ سورٍ مثلِه مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) الآية ١٣ .

الخامسة : كون الإنســـان يئوساً عند الضراء .

السادسة : كونه كفوراً عندها .

السابعة : كونه فرحاً عند النعماء .

الثامنة : فخوراً عندها ولو كانت بعد ضراء والتي قبلها ولو كانت بعـــد سراء .

التاسعة : نتيجة معرفة الآية .

العاشرة : فائدة النتيجـــة .

الحادية عشرة : كونه يريد الدنيـــا .

الثانية عشرة : كونه يفتري على الله الكذب .

الثالثة عشرة : من المكروه الصد عن سبيل الله .

الرابعة عشرة : بغى العوج لهـــا .

الثامن : المنشـــور .

ذكر أن الأكثر لا يؤمنون .

الثانية : ذكر مثل المؤمنين .

الثالثة : ذكر مثل الكافرين .

الرابعة : التنبيه على التذكير بالحالين .

الخامسة : كونهم لا يستطيعون السمع .

السادسة : الفرق بين العالم والجاهل .

السابعة : كون عرشه على المـــاء .

الثامنة : من الوعد (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) .

وقال أيضاً الشيخ محمد رحمه الله تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيهـــا وهم فيها لا يُبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)[1]

وقد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس اليوم ولا يعرفون معنـــاه .

الأول : من ذلك العمل الصالح الذي يفعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقه وصلاة وإحسان إلى الناس ونحو ذلك ، وكذلك ترك ظلم أو كلام في عرض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله ، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن الله يجازيه بحفظ ماله وتنميته ، وحفظ أهله وعياله وإدامه النعمة عليهم ونحو ذلك ، ولاهِمَّة له في طلب الجنة ولا الهرب من النار فهذا يُعطىَ ثواب عمله في الدنيا ، وليس له في الآخرة نصيب ؛ وهذا النوع ذكر عن ابن عباس في تفسير الآية .

وقد غلط بعض مشائخنا بسبب عبارة في شرح الإقناع في أول باب النية لما قسم الإخلاص مراتب وذكر هذا منها ظن أنه يسميه إخلاصاً مدحاً له وليس كذلك ؛ وإنمـــا أراد أنه لا يسمى رياء وإلا فهو عمل حابط في الآخرة .

والنوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذي ذكر مجاهد أن

---

(١) سورة هود : الآيتان ١٥ – ١٦ .

الآية نزلت فيه ، وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رئاء الناس لا طلب ثواب الآخرة ؛ وهو يظهر أنه أراد وجه الله وإنما صلى أو صام أو تصدق أو طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويجل في أعينهم ، فإن الجـــاه من أعظم أنواع الدنيـــا ؛ ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين هم أول من تسعر(١) بهم النار وهم : الذي تعلم العلم ليقال عالم حتى قيل ، وتصدق ليقال جواد ، وجاهد ليقال شجاع ، بكى معاوية بكاءً شديداً ثم قرأ هذه الآية .

النوع الثالث : أن يعمل الأعمال الصالحة ومقصده بها مالاً مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله ، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر هذا النوع أيضاً في تفسير هذه الآية كما في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة »(٢) الخ . وكما يتعلم العلم لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم ، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيراً ؛ وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها ، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس ولا يحصل لهم طائل ؛ والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له ، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم وهو الجنة ، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو العذاب في الآخرة .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإمارة) والنسائي (كتاب الجهاد) وأحمد في مسنده جـ ٢ ص ٣٢٢ .

(٢) رواه البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة مرفوعاً .

النوع الرابع : أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له ، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة ، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام ؛ وتمنع قبول أعمالهم فهذا النوع أيضاً قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره ، وكان السلف يخافون منه كما قال بعضهم : لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول : (إنما يتقبل الله من المتقين)(١) فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة ، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمال ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثره فصارت الدنيا أكبر قصده ؛ فلذلك قيل قصد الدنيا وصار ذلك القليل كأنه لم يكن كقوله صلى الله عليه وسلم : « صل فإنك لم تصل »(٢) والأول أطاع الله ابتغاء وجهه لكن أراد من الله الثواب في الدنيا ؛ وخاف على الحظ والعيال مثل ما يقول الفسقة فصح أن يقال : قصد الدنيا والثاني والثالث واضح .

لكن بقي أن يقال : إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢٧ .

(٢) الحديث رواه البخاري (في كتب الأيمان والأذان والاستئذان) ومسلم (في كتاب الصلاة) وأبو داود (في كتاب الصلاة) والترمذي (كتاب المواقيت) والنسائي (افتتاح) والدارمي (صلاة) ، كما رواه أحمد في مسنده جـ ٢ ص ٤٣٧ .

والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة ، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً كثيرة أو قليلة قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرضه الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع كثيراً فالجواب أن هذا عمل للدنيـــا والآخرة ولا ندري ما يفعل الله في خلقه ، والظاهر أن الحسنات والسيئات تدّافعا وهو لما غلب عليه منهما ، وقد قال بعضهم : أن القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ، ويسكت عن صاحب الشائبتين ، وهو هذا وأمثاله ؛ ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال ، وأما الفرق بين الحبوط والبطلان فلا أعلم بينهما فرقاً بيناً والله أعلم .

* * *

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في قوله عز وجل لما ذكر قصة نوح : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين)(١) إذا تأمل الإنسان حاله أولا ، وما تعلم من العلوم من أهله ثم تفكر في هذه القصة هل علم منها زيادة على ما عنده أولا عرف مسائل :

الأولى : عظمة الشرك عند الله ولو قصدصاحبه التقرب إلى الله، وذلك مما فعل الله بأهل الأرض لما عبدوا ودا ، وسواعاً ؛ ويغوث ، ويعوق ، ونسرا .

الثانية : شدة بطش الله وعقوبته حيث أرسل الطوفان فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك .

الثالثة : معرفة آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وافق ما قصه مع كونه لم يعلم ولم يأخذ عمن يعلم ما عند أهل الكتاب ، فلم يستطيعوا أن يردوا عليه مع شدة العداوة .

الرابعة : التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شيء ولو كان نبياً مرسلا بسبب ما فيها من قصة ابن نوح .

الخامسة : تبيين الله الحجج الباطلة والتحذير منها ؛ مع أنها عندنا أوهام وعند أكثر الناس حجج صحيحة .

السادسة : تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خزائن الله وعلم الغيب مع أن الطواغيت في زمننا ادّعوا ذلك ؛ وصُدّقوا وعُبِدوا لأجل ذلك .

---

(١) سورة هود : الآية ٤٩ .

السابعة : التحذير من استحقار الفقراء والضعفاء لقوله : (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين)(١) مع أنه سائغ ممن يدعي العلم ويستحسنه الناس منهم .

الثامنة : وهي من أعظم الفوائد التحذير من الشبهة التي أدخلت أكثر الناس النار وهي السواد الأعظم والنفرة من القليل لقوله :(وما آمن معه إلا قليل)(٢) .

التاسعة : معرفة شيء من عظمة الله في تأديبه الرسل لما قال لنوح : (إني أعظك أن تكون من الجاهلين)(٣) .

العاشرة : وهي من أهمها أن فيها شاهداً لقول الحسن : نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا فقـــال : لا أغفر لكم وذلك من قوله : (إنه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن)(٤) مع سخريتهم منه .

الحادية عشرة : التحذير من اتباع رؤساء الدنيا وقبول حججهم لقوله : (قال الملأ) وهم الأشراف والرؤساء .

---

(١) سورة هود : الآية ٣١ .

(٢) سورة هود : الآية ٤٠ .

(٣) قوله تعالى : (ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقُ وأنت أحكم الحاكمين . قال : يانوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غيرُ صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إنيّ أعظك أن تكون من الجاهلين) سورة هود : الآيتان ٤٥ ــ ٤٦ .

(٤) سورة هود : : الآية ٣٦ .

الثانية عشرة : بيان الله تعـالى لتلك الحجج فقولهم : (ما نراك إلا بشراً مثلنا) فيه القياس الفاسد وقولهم : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) احتجاج بما ليس حجة وقولهم : (بادي الرأي) أي ليسوا بأهل دقة نظر في أمور الدنيا احتجاج بماليس بحجة وقولهم : (وما نرى لكم علينا من فضل) احتجاج برؤيتهم وهو من أفسد الحجج وقولهم : (بل نظنكم كاذبين)(١) احتجاج بالظن .

الثالثة عشرة : أنهم لم يصرحوا بأن هذا الذي عليه نوح وأتباعه أمر الله ، ثم جاهروا بعصيانه ، قالوا : (بل نظنكم كاذبين) وقالوا : (ولو شاء الله لأنزل ملائكة)(٢) وغير ذلك ، وأنت ترى الذين يكونون من أهل العلم والعبادة كيف يقرون ويجاهرون بالكفر (ويحسبون أنهم مهتدون)(٣) .

---

(١) قوله تعالى (فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما نراك إلابشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين همأراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) سورة هود الآية : ٢٧ .

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٢٤ ،وقد وردت فيها أيضا قصة نوح وقومه .

(٣) سورة الأعراف ٣٠ والزخرف ٣٧ .